رامز أبو شقرا

أحلام عابرة

شعر



أحلام عابرة

رامز أبو شقرا

أحلام عابرة

(شعـــر)

دار الفارابي

الكتاب: أحلام عابرة
المؤلف: رامز أبو شقرا

الناشر: دار الفارابي ـ بيروت ـ لبنان
ت: ٣٠١٤٦١(٠١) - فاكس: ٣٠٧٧٧٥(٠١)
ص.ب: ١١/٣١٨١ - الرمز البريدي: ٢١٣٠ ١١٠٧
www.dar-alfarabi.com
e-mail: info@dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى: حزيران ٢٠١٤
ISBN: 978-614-432-208-6

إهـداء

إلى روحي والديَّ الطاهرتين، في عالم لا غروب فيه
عربون محبة، وعرفان بجميل...
إلى رفيقة الدرب الطويل، زوجتي الغالية...
إلى فلذات كبدي الذين شجعوني على نشر هذه الباقات الشعرية
وداد، سوزان، شادي، ورامي وهشام.
أهدي هذا الديوان.

رامز

تمهيد

دثَّـــرتُ آمـــالَ الـشـبـاب بشيبتي

ونحوتُ ألهثُ خلفَ وهـجِ سراب

الحلم عـاثَ بـه الـزمـانُ ولـم يزل

يـنـحـو مـعـي مـتـشـبّـثـاً بـركـابـي

وخـواطـري خفتَ البريقُ بنشرِها

سـطَّـرتـهـا بـتـثـاقـلِ الـمـرتـابِ

يـا قـارئـي عـــذراً إذا ألفيتها

مـكـلـومـةً تشجو بـصـدرِ كتابي

هاوٍ يقول الشعر كأنه يتنفّس

هو، بعدُ، في أرض الدهشة، مأخوذ بوطأة النغم، يُطربُ الأذن ويدخل إلى القلب.

ولعلّه، حين يستبدّ به الانفعال، ويتسلق شجرة الخيال، يقف مصدوماً على شفير الكآبة، دون أن يستسلم.

كالملاكم في الحلبة، يتلقى الضربات ويترنّح، ولكنه لا يسقط.

حياة هذا الهاوي تحتضن معظم آلة الشعر.

فكيف لا يكون شاعراً؟!

إنه الصديق رامز أبو شقرا، الرجل الذي قال: لا،

لا للفقر، ولا للشقاء، ولا للغربة القاسية قالها بشجاعة السّيل.

ومضى... غير هيّاب ولا وجل، يطوي التجارب، واحدة فوق أخرى، ويتهيأ لغدٍ، كأنه السيف.

العزم كان زوّادته، والصدق كان لسانه، الله الله، في هذه القلة من الناس التي تبقى منتصبة، كشجرة السرو الخضراء، مهما ادلهمّت الخطوب وعصفت الأرياح.

سيرة هذا الهاوي هي شعر فكيف لا يكون صاحبها شاعراً!!

تتقرى قصائده بلمس العيون، فتهزّك هزاً.

عنيفة هي، عندما تلامس واقعنا القومي، وما فيه من اهتراء وعفونة:

يا بني قومي هبّوا للجهاد وانشروا أشلاء محتل ظلم
وامسحوا من أرضنا شأو الفساد فنقاء الأرض أبقى للأمم
ولنف بالعهد: لا يحمي البلاد غير نبراس وسيف وقلم
هكذا ملحمة المجد تشاد والعلى يخفق في ظل العلم

ورقيقة، طوراً آخر، حين يتذكر أباه وحياة الريف:

ها هو يجري على عادته راجعاً من يومه تحت المساء
يصحب الليل إلى عرزاله كلما استوحش للعرزال جاء
يبعث الموال حزناً وأسى وبعينيه ابتهال ورجاء
لهفة الموجوع في بحّته (إن هذا الريف أولى بالبقاء)
عاش أسلافي هنا ماتوا هنا هو لو غادرته مني براء

أما في هنيهات الحب واللقاء المرتقب، فالحديث يتحول إلى عسل، ورعشة الشوق تتسلّل إليك كالسحر:

مهما كتمتَ الهوى فالعين تفضحه لا تحبس السر عني إذ تواريه
فمثل روحك روحي السهد يوجعها ومثل قلبك قلبي الشوق يضنيه
خلّ الهواجس قد يشقيك عاصفها واترك إلينا، حثيثاً، شاسع التيه
ما في حناياك لا يخفى على ولهي فساكن القلب أدرى بالذي فيه

وأبرع ما يكون رامز عندما يحن إلى الأماكن، فيستهويه تاريخها، وتكبر نفسه بعظمتها. وهذه حاله لحظة عبّ من سلاف «الصفا» فراح يشدو:

أيَّ الذرى برحاب صفوَك يا صفا نذر الخلود وقدّس الأسلافُ
شمخت بهام الأرز تحتضن المدى لكأنها فوق السديم سجافُ...
تاريخها العهد المضيء وإرثه والهيكل القدسي والمجذافُ
يا توأم «الباروك»! قل هي كعبة في الشوف يجثى حولها ويطافُ

وبدلاً من وصف المكان، ينشغل بإحيائه، ليصبح أمام قلبه وعينيه، صفحة من تاريخ، وحكاية ناس لما يستحقوا وطنهم:

أمّ الشرائع قد ضاق المطاف بنا
وضجّ صدرك من غم ومن سأمِ

أهلوك نحن على أوزار غربتنا
عن شجوك اللاهث المحرور في صممِ

تجاذبتنا قوى الطاغوت وابتدرت
تجذّر الشر فينا لعبة الأممِ

تبدّلت لغة الأحرار واغتربت
عنا النفوس وسار الذئب بالغنمِ...

ما كل من يتولى أمرنا «عمر»
أو كل من سرّ بالرؤيا «بمعتصمِ»

ثم يناجي لبنان:

لبنان تاقت للعناق قلوبنا وتقطّرت من لهفة ورجاء
فلقد سئمنا والشتات مصيرنا هذا التشرذم تحت كل سماء

على أن أشد ما يثير الإعجاب في قصيدة «الوطن المسلوب»، ذلك الوصف الواقعي للدول العربية، فكأنه من حيث يدري أو لا يدري، يبشر بالربيع العربي الطالع من آلام الناس ودماء الشهداء، والمتدفق عبر أحلام الشباب وطموحاتهم في الحرية والديمقراطية وتداول السلطة:

كلّما ضاق بالعروش كيان ورهان على البقاء استحقا
اسرجوا الريح، يهرقون حياء، أوغلوا بالولاء غرباً وشرقا
بالغ المفلسون حتى يظنوا بين هذا الولي أو ذاك فرقا
وعلى العهر من أولاء طغاة أمعنوا في البلاد نهباً وحرقا

ويتابع الشاعر مستبشراً في مقطوعة أخرى:

لن يعدم الأحرار وثبة مارد هوجاء تحرق سيداً ومسوداً
ليعود للوطن الذبيح رخاؤه فجراً يبشر بالسلام وليدا

تلك حكاية الحرية، طريق الحياة، والسبيل إلى النهوض من سبات التخلف.

ومع هذه الإرهاصات التي تعد بمستقبل أفضل، تنعم به الشعوب العربية، وتعود فيه للفرد قيمته وأصالته، تُزهر في شعر رامز مساكب الحنين إلى طفولة بريئة، وذكريات عتاق في عماطور:

أغفو بحضنك مفتوناً ألـوذ به ما همّني بعد ضاق الكون أو رحبا
فهل لصدرك أن يحنو على كبري ويحتويني؟ سئمت العيش مغتربا

وتتوهج في ليالي كفاحه صورة ولده «شادي»، فيغرق في بحرة من الحنان والشجن:

يا آســراً لبّي وساكن مهجتي يا مالئاً قلبي الشجيّ حضورا
من لي؟! إذا عدت العشية مثقلا بمتاعبي مستوحشاً مقهورا
متعثراً أسيان مغلول الخطى أطوي على نتف الفؤاد مسيرا
يعدو يعانقني يشاطرني الونى ويبثني الأمـل الكبير وفيرا!

كتلة من العواطف هذا الرجل، تقرأه فيشدك إلى أعماقه الدفينة، حيث الحب والصدق والوفاء.

شعره كتاب عمره، يدوّن فيه كل لحظة تأسره، سعيدة كانت أو مهمومة، فإذا كانت سعيدة امتلأ فرحاً وفاضت نفسه وغنّى:

من حضن رابية في الشوف مترعة
بالحب تـأوي إلـى ظـل الأماليد

أكـمـامـهـا الـزهـر أزرار معطّرة
كالعقد فـوق صـدور الغيد منضود

من فيض كرمة عماطور من جبل
يغفو ويصحو على همس العناقيد

شريان خضرته (بالغرب) متصل
إلــى وتــيــن بحبل الــود مـشـدود
جئت (الشويفات) محمولاً على شغفي
أتـلـو بمسمعها أحـلـى أناشيدي
أبثها الـوجـد عـن قيثارتي نغماً
يــوائـم الـبـر فـي مـزمـور داوود

أما إذا كانت اللحظة ثقيلة، فإنه يعيشها حتى الثمالة ويظل يترجح بين الضعف والتحمل حتى يمتلئ كأسه من جديد أملاً ووعوداً، أو يداري ألمه فيلجأ إلى السخرية يلوّن بها واقعاً مأزوماً.

لِـمَ اعـتـكـافـك؟! لا هـمّ ولا فزع
فـالـرأي مؤتلف والشمل مجتمع
ولا مـحـاجـرنـا الـجـوفـاء دامـعـة
ولا الـمـرارات فـي أفـواهـنـا جُـرع
ولا ثـوابـت عصر الـعـار شاهدة
على الـهـوان ولا زيـف ولا خدع
ولا نـوافـذ هـذا الـشـرق مشرعة
أمـام عـولـمـة هـوجـاء تبتلع

ولا مـصـيـرك يـا لـبـنـان مرتهن
لـرأسـمـال طـويـل الـبـاع يشترع!

بهذه السخرية المرّة يواجه رامز تعب الحياة، وجلجلتها إذا صح التعبير. فمنذ أن كان طفلاً في أحضان الفقر إلى أن أصبح شاباً في أرجاء الغربة،كانت هذه السخرية تُقيله من عثراته وتمنحه حرارة الرجاء والشجاعة.

وتنقلنا القصائد المبعثرة إلى أجواء أخرى. أجواء عائلية حميمة، يذرف فيها الدمع على أقرباء رحلوا، ويتعزّى بأن الموت قدر مرسوم:

لكنّ حكمة ربّـنـا فـي خلقه   قـدر الـعـبـاد مـغـادر ومقيم

بل هو ارتقاء:

فأقمصة هـي الأجـسـاد تفنى   وشيمة جوهر الـروح البقاء
وطـوبـاك النعيم تـقـرّ فيه   عـزيـزاً إنـمـا الـمـوت ارتـقـاء

شعر مناسبات، غير أنه وقفات إنسانية تطوي الأحزان وتبلسم الجراح.

كذلك هو في أخوانياته، يترجم ما في قلبه من محبة وتقدير، دون تصنّع أو مبالغة، ويغلّف كلامه بنفحة من المرح تدخل إلى جوارحك:

ما كل من مهن الطبابة أو وعى.   علماً ببلسمة الـجـراح بأس
أو كل من وصف العلاج لموجع   أو جسّ نبضاً للعليل نطاسي
إلا (السمير) إذا استشرت لمرة   لوجدت خير معالج ومؤاسي

فـإذا ابتليت بعلة واستفحلت في الجسم أو في القلب أو في الراس
أدرك عيادته على عجل تجد نعم الطبيب وخيرة الجلاس

وأخيراً يصل بنا قطار الشعر، بين القصائد المبعثرة، إلى واحة الغزل. إنها استراحة المحارب.

فإذا بنا أمام عاشق مرهف، توجعه المرأة ويوجعها:

أنا عاشق ما زال ينبض بالهوى قلبي وتنضح بالوفاء سرائري

سوى أنه، على حبه المرصود للجوى، يخشى انسراب العمر بين النذور والأماني:

أحبك! أخشى الربيع الرطيب يمر ويمضي شبابي سدى
إليك نـذرت الليالي الطوال لـعـلـي!... لعلي أعـود غدا

المرأة سرّ لدى رامز، تحب وتتدلّل وترتاب:

لا تـسـألـيـنـي مـن أكـون يـكـاد يـجـرحـنـي الـسـؤال

وأحياناً يحيطها بنظرة سوداء، كأنها بائعة هوى:

أأخت الحسن لا يغريك كسب على شرف فتشقيك الخساره
فما رغـدت على عهر حياة ولا راجـت على بغي تجاره

وهي راضية بمصيرها:

أعابثها! سألت: ألا مثاب؟ وزهـو العمر يـنـذر بـالأفـول
فـردّت: خلّني أحيا ليومي فهل لي غير ذلـك من سبيل

وإن بدا أن في هذه النظرة ظلماً، سارع إلى السخرية والمرح، يستر بهما سوداوية موجوعة:

دعتني عمها واستقبلتني على الترحاب أهلاً يا حبيبي
ولما استأذنتني بعد حين وجدت بأنها سرقت جيوبي

على أنه يبقى في غزله عاشقاً مخلصاً يتوق للوصل والوصل كالمستحيل. إنه آخر شعراء الروح وليس أخيرهم، فما دام على الأرض إنسان طيب، يستمر الحب رفعة وأمانة وعمراناً، وتستمر المرأة قيمة في هذا الوجود وشريكة حقيقية في تقدمه وازدهاره.

ويذكرك رامز ببعض شعراء العربية الكبار. لكأنه وهو الهاوي، يرغب في البقاء كلاسيكياً، يغرف من بحر عطائهم وينسج على منوالهم، إلا أنه يتجاوزهم في التزامه قضايا الحرية وحق الشعوب في صناعة مصيرها.

وإذا اهتم النقاد القدماء بـ«البيت الأفضل» في القصيدة، فإن أبيات رامز تتوالى في إيقاع متصاعد وبناء محكم يجعلان من القصيدة وحدة فنية متماسكة، أياً كان موضوعها.

صحيح أن مهارة الاحتراف في الشعر قد تبرع في الصياغة وحسن السبك، غير أنها كثيراً ما تقع في التكلّف والصناعة، فتختنق فيها العفوية وتنقطع عرى التواصل. أما دروب الهواية فتتسع للانفعالات الصادقة وتبني عليها مسيرتها إلى القلوب والعقول.

وهذا شأن رامز في عفويته وصدقه، يرسم الصورة بنسغ عواطفه، ويختار ألفاظه وتراكيبه كأنما «ينحت في صخر» لذلك قلّت عنده «العكاكيز»، واستوى شعره متيناً على بساطة وعمق وطبعية.

ابن ريف هو، صقلته الحضارة دون أن تفقده الطيبة والبراءة والحيوية والتمسك بالحرية.

لذلك نراه يتنقل في ديوانه، من موضوع إلى موضوع بحرية ورشاقة، يوجز هنا ويتبسط هناك، في إطار من البعثرة والتنوع، إطار ظاهري لافت، تختبئ خلفه نفس قلقة، معجونة بالآلام والأحلام، وتكمن فيه كلمة سواء: المحبة.

هذا ديوان للمحبة والسلام والحرية والألفة يبعثر فيه رامز قصائده كما تتبعثر في الحياة المعاني والمواضيع والمواقف، ثم يربطها بسلك من الغنائية الشجية الحانية، لتسافر بوداعة إلى القلب والوجدان.

ولئن سأل سائل عن حق: ما الجديد، لغة ومضموناً، في هذا الديوان؟

قفزت الإجابة إليه قفزاً: البساطة وعدم التكلف، ففي رحم كل منهما تنمو روعة الكينونة وتثمر أزهار الإبداع.

إن النظرة إلى أدب الهواة غير النظرة إلى أدب المحترفين، فمع هؤلاء تكون الشدة والدقة، ومع أولئك يكون التشجيع والتسامح إلا في الجوهر.

ورامز خير من حافظ على هذا الجوهر، رصّع به قصائده، بلغة مألوفة ومعان قريبة، ونغم موقع على قيثارة القلب.

رامز لا يقول القصيدة بل يغنيها ويتنفسها. فهي بعض منه مسكوب كما سحبة الأوف في الموال ونفحة العطر في حديقة الخريف.

أيها القارئ العزيز

أحلف لك بأنني بلّغت وما بالغت.

بيروت في ٦/ ١٠/ ٢٠١١

خالد عبد الصمد

رقىً

يــا أخــي فــي الــقــدس هــب لــي مقلتين
عــلّــمــنــي أمــعــنُ حــولــي... الــنــظــرا

لا يــرى الــنــائــي عــن الــجــرح بعين
مــثــلــمــا أنــت مــن الــجــرح تــرى

وســـلِ الـــبــاغــيَ أيــن الــحــقُّ أيــن
هــل تــــولّاه الأســـى فــاســتــترا

عــلّــم الــمــحــتــلَّ مــخــضــوبَ الــيــديــن
كــيــف (قــنــبــلــت) الأصـــمَّ الــحــجــرا

يـــا أخـــي بـــوركـــت، فــالــكــل فــداك
بـــطـــلاً يــبــذر فــيــنــا... الأمـــلا

أســـرج الــمــجــهــول مـــا ألـــوى أخـــاك
وادفـــع الــخــطــبَ الــجــلــيــلَ المقبلا

ولتكن في الرحلة المثلى هناك
ثائراً خاض الوغى مستبسلا

زلزل الأرض فلا شُلّت يداك
واتَّبِع فينا كتاباً منزلا

يا أخي في القدس يا روحَ الفداء
يا معزّ الأهل من هول المحنْ

أغدا في أرضنا الذلّ وباء؟..
فاستكنَّا للمآسي والفتنْ

كيف نحيا في حمانا غرباء
والدخيلُ المدّعي غال الوطنْ

ليس منَّا من يريدُ الجبناء
فاحفرِ اللحدَ، وناولني الكفنْ

يــــا بــنــي قــومــي هــبُّــوا لـلـجـهـاد
وانــــشــــروا أشـــــلاء مــحــتــلّ ظـلـمْ

وامــســحــوا مــن أرضــنــا شــأوَ الـفـسـاد
فــنــقــاء الأرض أبــقــى لـلأمـمْ

ولــنــفِ بـالـعـهـد لا يـحـمـي الـبـلاد
غــيــرُ نــبــراسٍ، وســيــفٍ وقـلـمْ

هــكــذا مـلـحـمـة الـمـجـد تـشـاد
والـعـلـى يـخـفـق فـي ظــلّ الـعـلـمْ

عرسُ قانا

صرخة مقاوم جنوبي في (قانا الجليل)

٢٥ـ٤ـ١٩٩٦

يـا ربـيـع الـغـدر فـي قـانـا تـضـوَّعْ
بـنـشـارِ الـغـارِ عـن أشـلاء رضَّـعْ
ألـشـمِ الـنـزفَ عـن الـجـرح الـذي
يتحدى سـطـوةَ الـذئـب المقنَّعْ
واشـهـد الـعُـرسَ جـنـوبـي السنا
مهرجاناً لـيـرى الجاني ويسمعْ
كـيـف قـانـا سـطَّـرت ملحمةً
مـن فـداءٍ أذهـلَ الـعـالـم أجـمـعْ
وأنـا الـمـغـروسُ فـي أحضانها
راسـخٌ مـا زلـت لا أجـثـو وأركـعْ

فـســلِ الإرهـــــابَ هــل روَّعــنــي
فــاجــرٌ فــي ثــوب جــبَّــارٍ تــلــفَّــعْ

ودعِ الــغـــافــلَ لاســتــســلامــهِ
نــاعــيــاً مــا أفـــرز الصلح الــمــرقَّــعْ

يـــا عــنــاقــيــداً تــنـــزَّت غـضـبــاً
من هوى (نيرون) واستبسال (يوشعْ)

كيفما شـئـتِ اجـرفـي أطفالنا
هـكـذا أســطـورةُ الإرهـــاب تقمعْ

واعـــلـــمــي حــقـــاً بــأنـــي عــائــدٌ
مـن رمــادٍ فجر يــومِ الحشرِ أطلعْ

صــرخــةً تـــدوي فـهـل يصغي لها
زاحـفٌ قمعي (بشرم الشيخ) شرّعْ

قـــدري مــا هـــان؟ واســتــجــدى أخي
من دمي المسفوح حقَّ الدين أدفعْ

أمـــةٌ سيـقـت إلـــى استـعـبـادهـا

ما لها في الموسم المزعوم موقعْ

لا يـحـقُّ الـحـقُّ مـا بـتـنـا على

كـذبـةٍ كـبـرى بـمـيـثـاقٍ... مـوقَّـعْ

حـقُّـنـا الـمـسـلـوب؟ لـن يبعثه

غـيـرُ حـدِ بـاتـرٍ يـفـري، ومِـدفـعْ

تحية لبيروت، المدينة المتعثرة في خطوها إلى العافية

عـودي بنا لضفافِ العشق وابتسمي
يبكيك قلبي فليس الدمعُ من شيمي
ردِّي التفاتتَك الـعــذراءَ ناضيةً
نقابَ غربتك المخضوبَ بالألمِ
للزهو عـودي رفيفاً وانهمارَ سناً
من رقصة الموت أو من وهدة السقمِ
بـيـروت نسألك الآمــال مـا نهشت
بـك النيوب ومـاج الـــدَوُ بالرُخمِ
أن دجِّنينا على الأخـــلاق تجمعنا
قد أشـرك الخلق بالأعراف والقيمِ

***

ربيبةَ الأرزِ؟ هــبَّ الأرزُ يسألني
من أطفأ الوهجَ عن إشراقة الحلمِ

من؟ أضــرمَ الفتنةَ الهوجاءَ يولمُها
حقداً، ودكَّ صــروحَ الفكر بالحممِ

من؟ أطلق الفاجرَ الموتورَ ينحرُنا
خلف الحواجز ذئباً للدماء ظمي

يجول بالقهر، غــدراً فـي خلائقِهِ
دامي النواجذِ، عن شجوِ العبادِ عمي

رِجــسُ التمذهب ينزو عن مخالبه
ما صــان عهداً لجارٍ أو لــذي رحمِ

يا غائرَ الجرح في بيروت معذرةً
لن يغسلَ الدمعُ ما خلَّفت من رممِ

ذرني على نبضك الواهي أفيض أسىً
لعلَّني مــدركٌ مــا ظــلَّ مــن شممي

جفَّت على غصصٍ أوتــارُ حنجرتي
شجواً وحشرجةُ المذبوح في نغمي
دعني متى استكمل السفّاحُ جولته
وبــرَّ نــافــخُ بــوقِ الحقد بالقسمِ
ألــوي وألــثــم عنك الــعــرْفَ مبتهلاً
يا ربُّ هــذا شقيقي من أراق دمي

***

عــودي بنا لزمان الوصل وابتسمي
عودي لِشِرعتك السّمحاء واحتكمي
ردي منائر هـــذا الــشــرق زاهـــرةً
واروي حكايا مخاضِ الحرف للقلمِ
أَلَستِ من سار في سمع الزمان هدىً
آن الحواضرُ في جهلٍ وفــي ظلمِ
في خطرة الحرف، نجوى كل خاطرةٍ
كــنــت وبــســمــلــة حـــرّى بــكــل فــمِ

ولاح فجرك مـلء الـكـون مؤتلقاً
للفكر منهل رقــدٍ دافـــقٍ عــرمِ
لا زال يـسـزدان مـن إشــراق غـرّتـهِ
نقشاً تجلّى على تاريخك الهرمِ
لا ليس أنـت، ولا طـاغٍ إليك سعى
إلا وعــاد يـعـضُّ الـكـفَّ مـن نـدمِ
أزرى بنا الـداء يا بـيـروتُ معذرةً
غاب الضمير وسـادت شرعةُ الأجمِ

***

أمَّ الشرائع؟ قد ضـاق المطافُ بنا
وضــجَّ صــدرُك مـن غـمٍ ومـن سـأمِ
أهـلـوك نحن على أوزار غربتنا
عن شجوكِ اللاهثِ المحرور في صممِ
تجاذبتنا قـوى الطاغوت وابتدرت
تــجــذّر الـشــرَّ فينا لـعـبـةُ الأمــمِ

تبـدَّلـت لـغـةُ الأحــرار واغتربت
عنَّا النفوسُ وســار الـذئـبُ بالغنمِ

كـأنّـمـا لعنة الـتـاريـخ تـرصـدُنـا
من فجر (ثمود) من (عادٍ) ومن (إرمِ)

مـا كـلُّ مـن يتولّى أمـرنـا (عـمـرٌ)
أو كـلُّ من سُـرَّ بالرؤيا (بمعتصمِ)

بيروت صبراً على الأرزاء، ما غفلت،
عنك القلوبُ، فعينُ الله لم تنمِ

على أنينك مـن بين الـركـام غـداً
أستشرفُ الفجرَ ندياناً على العلمِ

وتـسـتـمـرّيـن، بـالآمـال آهـلـةً
غـداةَ تُبعثُ فيك الـروحُ من عدمِ

عصر العار العربي

بـــأيِّ سَـتـرٍ بعصر الـعــار أستترُ
عربي مقيمٌ وصحوي؟ العاصف المطرُ

لا شِرعةُ العالم المأفون تنصفني
ولا غياهبُ هـذا الـشـرق تنحسرُ

عمري، مساحةُ قهر تستبيحُ دمي
وأستكين على قـهـري، وأنكسرُ

وخيمتي لعنةٌ فـي التيه ضــاربـةٌ
سياجها، الدائبان البؤسُ والخورُ

مسكونةٌ بالرياح الـهـوج عاصفةٌ
مأساةَ سفرِ الشتاتِ المرّ تختصرُ

وحدي التفعت، المدى سُكنى وها أنذا
حيث استقرَّت بـيَ الأنـــواء أنتشرُ

وآلــةُ الـحـربِ مـا كنَّت صواعقُها
حـولـي بـوابـل نــار الـحـقـدِ تنهمرُ
أوارُهــا العسفُ من غـربٍ يـوزِّع في
أرضـــي الـدمــارَ وينسى أنني بشرُ
والـزاحـفـون إلـى جـلادهـم غفلوا
عـن الــرزايــا، فـلا عـلـمٌ ولا خبرُ
فــأيُّ أمنيةٍ أرجــو متى احتدمت
بي الظنون وقضَّت مضجعي النذرُ
كلابهم فـي بــلاد الـغـرب مترفةٌ
بـهـا حـواضـرُهـم تـزهـو وتـزدهـرُ
والـيـعـربـي الأبـــيُّ الـحـرُّ مرتهنٌ
وطفلُ (جينين) بخسٌ سعرُه «دولرُ»
كلُّ الشعوب لهم أحلامُهم وأنـا؟..
متى اقترفتُ جنونَ الحلمِ أعتذرُ

صكّ ارتهاني لدى العرّاب يفرضُه
والقيدُ في عُهدة السجّان ينتظرُ

***

من أين أعبرُ، إنَّ الريحَ عاتيةٌ
والدربُ دوني قصيٌّ موحشٌ وعرُ
من أين أعبر، إنِّي النارُ تستعرُ
من أين أعبرُ، والبركانُ ينفجرُ؟
مسوخُ قوميَ أوصالٌ مقطّعةٌ
وأمّتي دخلت في الموت تحتضرُ
وحدي سأعبرُ بعدي الليلُ دونهم
وصاعقٌ معه والرعبُ والخطرُ
شرُّ البلية أن نجترَّ خيبتنا
والعنفوانُ إلى الأقدام ينحدرُ
ما للمضارب في (اليرموك) مقفرةٌ؟
وملعب المجد في (حطين) يا عمرُ؟

والدفقُ، دفقُ سلاحِ الغربِ متصلٌ
(لأورشليم) ونحن، الردعُ والحظرُ

ويسألون عن الإرهاب قل: ومتى
كان المسالمُ من بالدمِّ يتّجرُ

على البرية من إرهابهم شررٌ
على العروبة من طغيانهم عبرُ

فيمَ التكاذب؟ والإعصارُ يجرفنا
ونحن حول مسارِ السّلم نأتمرُ

ما من مجيرٍ لكم يا قوم فالتحموا
ما من نصيرٍ لكم يا عرب فاعتبروا

تأتي الرياحُ رذي الغرس تنثرُه
فيضمحلُّ ويبقى الزاهرُ النضرُ

تأبى المروءةُ وهناً في تواصلكم
والقدسُ خَلف جدار الصمت تنتظرُ

لـم تبقَ قـطـرةُ زيـتٍ نستضيء بها
ومـا تـهـادى عـلـى هـامـاتِـنـا قمرُ

ولا رداء نـــواري فـيـه عـورتـنـا
ولا رغـيـفٌ مـريـرُ الطعمِ يختمرُ

ولا عـتـادٌ، ولا زادٌ، ولا أودٌ
ولا مـــدادٌ، ولا فـكـرٌ، ولا وتـرُ

هـنَّـا فهانت بنا الـدنـيـا وسـادتُـهـا
وقـد (تقنبل) لاستجدائنا الحجرُ

أمـا الـسـلامُ فـحـدث دونـمـا حـرجٍ
قـل: الـريـاء بثوب الـصـدق يعتمرُ

سـلامُـنـا أمـتـي نـصـراً نـعـاهـده
لن نخذلَ القدس والـجـلادُ ينتصرُ

ألقيت في قصر الأونيسكو ـ بيروت

في ١٥/ ٣/ ٢٠٠٢

لعنة

أنـا يـا بـلادي كـم رويـتـكِ مـن دمي
ولكم لرفعتك امتشقتُ حسامي
لكنني، والسيف أُسقط في يدي
وتبعثرت بـرُكـامـهـا أحـلامـي
لـم أروِ مـن رجـم الحجارة غلّتي
أو نسف أجساد الـعـذارى أُوامـي
بقضيتي غدر الـوصـيُّ، ولـم أجد
إلّا الـشـروط المعجزات أمامي
حـتّـى انتهيت لهيئةٍ معصومةٍ
تـرعـى زمـامَ الـحـقّ بـالأوهـامِ
ترسي شرائعَها الحكيمة عصبةٌ
يوحي بها صلفُ المقام السامي

خـــارت قـــوايَ مع الغريم محاوراً
يـبـتـزُّنـي، فـمـهـرت عــهـدَ ســلامِ
ورجـعـت مـن أسـفٍ أعـضُّ أناملي
وألـــوك مـن نـــدمٍ رجـيـعَ كلامي
بـئـس الـحـيـاةُ إرادتـــي مرهونة
وعـلـى جبيني لـعـنـةُ استسلامي

على أثر توقيع اتفاق أوسلو

قيامة لبنان

ما الخطب؟... قالوا: دهت لبنان داهيةٌ

فقلت: هذا المدى من رحمها وُلدا

من كبوة قـام، من نـزفٍ، ومن وجعٍ

بنسغ أرز ربـــاه الـعـابـق اعتمدا

عين الـعـنـايـة، مـا غلناه سـاهـرةٌ

على الرعاية إن مـدَّ الجنون يدا

تهتزُّ كـل صـــروح الأرض قاطبة

ويـســتـمـرّ مـنـيـعـاً خـــالـــداً أبـــدا

جـــذورُه في سحيق الـكـونِ ضاربةٌ

يفنى الـزمـانُ ويبقَى للعلى سندا

فجرُ الحضارةِ من قدموس توَّجه

للفكرِ صرحاً وللجلَّى منارَ هدى

لو شـاءَ ربُّ الــورى جلَّت عبادتُه
لـرفَّـع الـعـرشَ فـي لبنانَ والعمدا
دارُ الخلودِ كـرامُ الخلقِ واعدَهم
ودارةُ الـخـلـدِ فـي جنّـاتـه وعـدا
مـهـابـةُ الأرزِ يـا لـبـنـانَ مـن جـزعٍ
هبَّت تباركُ فيكَ الـروحَ والجسدا
(وقـاسـيـون) لـوى وجـداً ومـدَّ يـداً
وفاضَ بالشوق من فرطِ الجوى (بردى)
لا لـلـتـنـاحـرِ بـعـدَ الـيـوم قائمةٌ
هـذا الـتـشـرذمُ شـرٌّ رِجـسُـه فصدا
طـالـت على غفلةِ الأيـامِ لهفتُنا
إلى التعافيَ أمَّـا الصبرُ؟.. ما نفدا
فانهض بجرحكَ تيَّاهاً على عجلٍ
ولملم الـشـمـلَ لا نـهـواك متئدا

لـو عــزَّ هــذا فخذ أرواحَــنــا سنداً
أو شئتَ ذاكَ فخذ أجسادنا مددا

بـئسَ الـوصـيُّ تـعـودنـاكَ ملتحماً
نـعــم الأبـــيُّ تـعـشَّـقـنـاك متحدا

ما أوفـر السحرَ في بُرديكَ مجتمعاً
وأنـــدرَ البشرَ في شطريك منفردا

لو أنصف الخلقَ يا لبنان ساستُهم
ما قـامَ فيك ربيبُ البطلِ أو قعدا

قـل للذي فجَّر الأحـقـادَ يضرمها
هلَّا جنى الفاجرُ الموتورُ ما نشدا؟...

ـ هذي الجراحُ التي سالت على جسدي ـ
نـــدوبُ فـرقـةِ عـهـدٍ سـالـفٍ وُئـدا

غـــداةَ تهتُفنا الآمـــالُ ضـارعـة
يعيشُ لـبـنـانُ حـراً واحـــداً أحـدا

(بسملتُ) لبنان بعدَ الله يا وطني
عشقتُ وجـهَـكَ إيـمـانـاً ومعتقدا

شتات

وطني سفحتُ على ثــراكَ دمائي
ونــشــرتُ فــوقَ لــواكَ فيضَ إبائي

خذني إليك مع النسيم إلى الذرى
لــمــرابــضِ الأبــطــالِ، والــشــهــداءِ

سِــرْ بي على القننِ التي أودعتها
حــبــي وإيــمــانــي، وصـــدق ولائـــي

أســتــذكــرُ الأحـــلامَ أيّـــامَ الصبا
عــبــرَ السنين الــخــالــيــات ورائـــي

أتــرشّــف الــعــبــقَ الــمــذاب أريجه
أبـــداً بــطــيــب تــرابــك الــمــعــطــاءِ

وأضــم جرحك هاتفاً يا ربّ صنْ
لــبــنــان وارفـــع عــنــه كـــلَّ بـــلاءِ

وانــشــر عليه مــن الـســلام غـلالـةً

مــوســومــة بـتــجـانــسٍ وإخـــاءِ

لـبـنـان تـاقـت لـلـعـنـاق قـلـوبُـنـا

وتـفـطَّـرت مــن لـهـفـةٍ ورجـــاءِ

فلقد سئمنا والـشـتـاتُ مصيرنا

هــذا الـتـشـرذمَ تـحـت كـل سـمـاءِ

شرفُ الشهادة

السقوط المروّع للرئيس الشهيد رفيق الحريري

١٤ شباط ٢٠٠٥

لا مـذ هـويـتَ عـلـى شـمـوخـكَ طـاويـاً
جـنـحـيـكَ تـوغـلُ فـي الـرحـيـلِ بعيدا

ومـضـيـتَ تـهـزأُ بـالـجـنـاةِ... مـتـوِّجـاً
عـهـداً لـردعِ الـعـابـثـيـنَ جـديـدا

جـفَّـت عـلـى جـلـلِ الـفـجـيـعـةِ دمـعـةٌ
وتـفـجَّـرت مُـهـجُ الـعـبـادِ صـديـدا

حـتَّـى تـلـقَّـفـك الـضـريـحُ وأفـردَت
بـيـروتُ صـدراً لـلـعـنـاقِ وجـيـدا

مكلومةٌ ثَكلَى يجلببها الأسى
لكأنّها أمٌّ تضمُّ وحيدا

وتكادُ ترفضُ أن تراكَ مغيباً
وترى الجموعَ على ثراكَ سجودا

بيروتُ تلكَ تقطّعت أوصالُها
وتناثرَت حولَ الضريحِ ورودا

فارفق بها تصبو إلى عهدٍ به
لبنانُ يدركُ للأمانِ حدودا

وارقُد خليَّ البالِ بين ضلوعِها
وارفد على الكنفِ الأمين خلودا

***

هابوكَ فافتعلوا الشِقاقَ ذريعةً
للقمع، واختزلوا الوعودَ وعيدا

ليحولوا كورَ البلادِ دساكراً
وسراةَ أسيادِ البلادِ وَقودا

خالوا على العمهِ البغاثَ كواسراً
وفلولَ أشباهِ الرجالِ أسودا

عبدانُهم كفرَ الأنامُ بغيِّهم
دعهُم بأقبيةِ الهوانِ عبيدا

سفُلوا إلى الدركِ الأحطِ لأنَّهم
لن يستطيعوا للسُّموِ صعودا

قابلتَهم ودّاً تحاذرُ غَدرَهم
فترصَّدوكَ وبادلوكَ جحُودا

خابوا فنحن على التواصل إخوةٌ
من قالَ نرهبُ عدَّةً وعديدا

لــن يــعــدمَ الأحــــــرارُ وثــبــةَ مـــاردٍ
هـــوجـــاءَ تــجــرفُ ســيِّــداً ومــســودا

لــيــعــودَ لــلــوطــنِ الــذبــيــح رخـــاؤُه
فــجــراً يــبــشِّــرُ بــالــســلامِ ولــيــدا

يــا مُــغــرقــاً بــالــصَّــمــتِ عــفــوك دع لنا
مــن طــيــبِ ذكــرِك لــلــوفــاءِ رصــيــدا

إن غــيَّــبــوك فــنــهــجُ بــرِّك لــم يــزل
إرثـــاً لــفــلــســفــةِ الــســمــاحِ فــريــدا

مــن مــثــلــكَ الــجــلّــى تــضــيــق بحجمه
شــرف الــشــهــادةِ أن يــمــوت شهيدا

طفل القدس محمد الدرة

يافع بحضن والده؟ اغتالوا طفولته البريئة
لم تشفع له توسلات الوالد المكلوم...
وكأني به يجهر
(يا أبي ما طاشَ لي حجرٌ ولا كلَّت بنانُ)

دعـهـمُ! رحـمـاكَ لا يُـرجـى جبانُ
آن، أن نستعذبَ الـمـوتَ، الأوانُ

صـحـوتـي مـوتٌ بـطـيءٌ يـا أبـي
وأنـا فـي هجعةِ الـمـوتِ افتتانُ

مـا أدانـونـي افـتـئـاتـاً إنَّـمـا
قـبـسُ الـحـلـمِ بـعـيـنـيَّ الـمـدانُ

مـا لـطـاغـوتٍ إذا اسـتـقـوى أمـانُ
مـا على الـحـقِّ مـع الجاني رهـانُ

لا يـجـارى فـاجـرٌ فـي غـيِّـهِ
شـرعُـه الـحـدَّان (نـابٌ ولـسـانُ)

احـبـس الـدمـعـةَ عـنـي يـا أبـي
أيـن مـنـكَ الـكـبـريـا والـعـنـفـوانُ

قـل لأتـرابـي غـداً أن قـاومـوا
إنَّـمـا الـمـوتُ على الكبر امتهانُ

وادعُـهـم للصحوةِ الكبرى متى
غـفـلَ الـراعـي وفـحَّ الأفـعـوانُ

كـل جـرحٍ قـل لـهـم فـي أمـتـي
هـو لـلـتـاريـخِ عـارٌ وهـوانُ

عـربٌ نـحـن عـلـى هـامـاتـنـا
راتـعـاً مـا زال بـالـزهـو الـزمـانُ

قـل لأتـرابـي: أبـي أن قـاومـوا
واستميتوا ما كبا بعدُ الحصانُ

لــــعـــــذارانـــــا لأهـــلـــي لـلـمـلا
أن أريـقـوا العطرَ هـذا مِهرجانُ

وارو لــلأجــيــال عــنَّــا يــا أبــي
ضــاقَ في (أصنامنا) هـذا المكانُ

كيف في القدس الـمـروءات تهانُ
كيف في القدس الكرامات تصانُ

إنَّــمــا الــقــدسُ هــي تــاريـخُـنـا
حـبُّـنـا والـقـلـبُ مـنـا والـجـنـانُ

الوطن المصلوب

ما لجفنيَّ جامدان وروحي
يعتريها الأسى تئنُّ وتشقى

ولقلبي على الندوب كلومٌ
سفحتها الخطوبُ عرقاً فعرقا

وحدودي على الهوان سرابٌ
رسَّموها خطوطَ وهمٍ وفُرقى

ولأهلي تعودوا السوطَ نهجاً
آلفوهُ، وأدمنوا العيشَ رقَّا

عربيٌّ أنا الفضاءُ رحابي
لغتي الضاد أكرم الضاد نطقا

فجدودي تنكبوا الكون متناً
طوَّعوه ورسَّخوا العدلَ خُلقا

ومــن الـنـيـل لـلـفـرات جــذوري
راسخات تغوص في الأرض عمقا

عــربــيٌّ أنـــا مـسـبـاحٌ كـيـانـي
صِـيـغَ قيدي مـن اللجين المنقَّى

وشـــمَ الـنـيـرُ مـنـكـبـيَّ جنيناً
واكـتـهـلـتُ سـوائـمَ الـقـهـرِ ألقى

لا مـن الـقـيـد أسـتـطـيع فـكـاكـاً
مـا تعملقت أو مـن الـنـيـر عتقا

يـا لإفـــكِ الـــولاةِ أيُّ مُـسـوخٍ
أسـلـسـوا للشكيم لـيـنـاً ورفـقـا

أتـخـمـونـا لنصف قـــرنٍ وعـــوداً
هـــزُل الـوعـدُ أيُّـهـم قـال صدقا

حـدثـوا بـالـســلام؟... أيُّ سـلامٍ
هـزَّ فـجـرَ الـعـراقِ رعــداً وبـرقـا

لا تـرى فـي الـسـديـم غـيـر بـلاءٍ
مـحـدقٍ بالشعوب قمعاً وخنقا

كـلّـمـا ضـاق بـالـعـروش كـيـان
ورهـانٌ عـلـى الـبـقـاء استحقا

أسـرجـوا الـريـح يـهـرقـون حـيـاةً
أوغـلـوا بـالـولاء غـربـاً وشـرقـا

بـالـغ الـمـفـلـسـون حـتـى يظنوا
بـيـن هـذا الـولـيّ أو ذاك فرقا

وعـلـى الـعـهـرِ مـن أولاء طـغـاةٌ
أمعنوا فـي الفجور نهباً وحرقا

فـالـجـريءُ الـجـريءُ يـشـرق دمعاً
والأبـيُّ الأبـيُّ يـشـحـذ رزقـا

مـا على الـعـرب أن يـجـاهـرَ حرٌّ
(أي بـابٍ) مـحـصّـن لـن يدقا

خلّني أحيا

خـلّـنـي أحـيـا بـآمـالـي كـريـمـاً لا أُقـادْ
عن تراب الموطن المصلوب أجتثُّ الفسادْ
خلِّني لا أسـلـمُ الـجـلادَ سجّاني القيادْ
أنـثـرُ الـعـدلَ بإيماني وزادي خير زادْ
إنـمـا عـهـد مـن الـمـاضـي ذلـيـل لا يـعـادْ

خلِّني أرسـمُ يـا (بـغـداد) للمجد الطريقْ
أجمعُ الأحــرارَ من حولي رفيقاً وصديقْ
ثـائـراً تـسـحـقُ أقـدامـي مـخـتـالاً صفيقْ
إنما بالفعل لا بالقول نستوفي الحقوقْ

هـا أنـا قلبي على كفي، أرضَ الرافدينْ
ها أنـا المذبوحُ يا (بـغـداد) بين الضفتينْ
فلنكن نـاراً على الباغي قـذىً في كل عينْ

لا نهابُ الموتَ أحــراراً ولن نرضى بشينْ
إنَّما ما نــال رغــدَ العيش مكتوفُ اليدينْ

خلِّني الحلمَ النديَّ العذبَ في ليل العذارى
خلِّني الناشر آي الـثــورة الكبرى منارا
خلِّني الصوت المدوي خلِّني أحكي جهارا
خلِّني في صولة الأحــداثِ عزماً لا يجارى
إنَّــمــا العيش لشعبٍ رفــع المجد شعارا

خلّني الإعــصــارَ في وجــه الـغــزاةِ المعتدينْ
خلِّني أخلعُ من أرضــي جــذورَ المارقينْ
وبـإيـمـانـي أردُّ الـظـلـم عــزمـي لا يلينْ
فــأنــا حريتي ديــنــي؟.. وديــنــي أيُّ ديــنْ
إنما شعبٌ أراد العيش لا لن يستكينْ؟...

باقةُ حبٍّ لبيروت في عيدِ الحب

أمَّ الشرائعِ ما لدمعة عاشقٍ
خرساءَ في ليلِ الهوى تترقرقُ

عبرَت كما آمالنا وتأرَّجت
فرحاً بحلمٍ مزهرٍ يتحققُ

لكأنَّها لمست خواطرَ شاعرٍ
في مرتقى الحب الأثير يحلّقُ

فتوهجت شفقاً على وجدانِه
وعلى الرويِّ عرائساً تتأنقُ

حتى غدت بيروت واحة حبِّنا
تجلو عن الجسد الحطام وتشرقُ

صرحٌ هنا يغني الثقافة والهدى
وهناك يسمو للتآخي مرفقُ

حـرمُ الجمال الحقّ ما ظـلَّ الهوى
ينـدى على القلب الرهيف ويـورقُ

مـــرآةُ هـــذا الـشــرق فـجـرُ حـضـارةٍ
للعالمين مـديـنـة تـتـأـلـقُ؟...

ألقيت في قصر الأونيسكو - بيروت

١٥/٣/٢٠٠٢

تحية لعماطور

حبستُهُ مفعماً بالشَّجو ملتهبا
نـزفٌ على جفنات الجرح ما نضبا
وجئتكِ الـوالـه الأسـيـان يسبقني
خطوي أمـرِّغ فـي أفيائك الهدبا
أشـمُّ نفحَ ثـراكِ البكر بي عطشٌ
لـكـلِّ نـجـوى ألفناها زمـان صبا
تـنـدى بـذاكـرتـي الأحـلامُ خـاطـرةً
وفوق صدري يفيض القلب مضطربا
أغـفـو بحضنك مفتوناً ألـوذُ به
ما همَّني بعدُ ضاق الكونُ أو رحبا
فهل لصدرك أن يحنو على كبري
ويحتويني سئمتُ العيشَ مغتربا

***

حبيبتي أنـت (عـمـاطـور) ذاكـرةٌ
طـفـلاً شـقـيـاً هـنـا غـنَّـى هـنـا لعبا

يبري هناك من (الـسـوزال) أحصنةً
مـع الـرفـاق وأشـفـارَ القنا قصبا

يـحـومُ حـول أزاهـيـرِ الـربـى مرحاً
يـنـفِّـرُ الـطـيـرَ عنها كيفما وثبا

على سفوح هضابٍ خضلةٍ نثرت
ذوائـبُ الشمس عن هاماتها ندبا

يحفُّ أقدامها (الـبـاروك) منسرحاً
يطوي الـزمـان على إيقاعه طربا

يفيضُ بين المروج الخضر يغمرها
بسلسل مـن لجين خـالـصٍ سكبا

كـفَّـاهُ فـي كـل كـفٍ جـنـي دالـيـة
سالت رحيقاً وقلبي بعدما شربا

حبيبتي أنــت (عـمـاطـور) يـا شففا
ملء الجوارح يجري في دمي لهبا
عـطـاؤُك الـحـبُّ عهدٌ واعــدٌ أبــداً
شاب الفؤادُ وعنه الزهو ما احتجبا
طابت بمنهلك الأيــامُ واعتبقت
فـكـنـتِ أمــاً تـراعـيـنـا وكـنـت أبـا
تراثك الحيُّ في التاريخ وهـجُ سناً
من طيب إرثِ جـدودٍ شرَّفوا النسبا
إلَّاك كـلُّ جِـنـان الأرض موحشةٌ
وكـــل حـــبٍّ عـــداك خـلـتـه كذبا

وقفة على ضفاف نهر الصفا

عـهـدي بـثـغـركَ يـا صـفـا مترنمٌ
وعـلـى ذراك الـوشـوشـاتُ هُـتـافُ

ونِـثــارُ سـلـسـال الـعـبـيـر مـهـومٌ
مـلء الـكـؤوسِ براحتيك سـلافُ

يـنـدى كفيضك بـالـحـفـاوة كلّما
خطر النسيمُ وهينم الصفصافُ

واستقطرت خمرَ القلوب مراشفٌ
مـغـنـاجـةٌ وتـرنّـحـت أعـطـافُ

آثـرت مـبـتـهـجـاً ربـاك تـشـدُّنـي
نحو الضفاف إلـى سناك ضفافُ

أوَلـيـس مـن عهدِ الطفولة يـا صفا
هـذا الـتـواصـلُ بـيـنـنـا إيـلافُ

لـكـأنَّ واديــك الخضيلَ محجةٌ
لـلـروح والـجبـل الأشـــمّ مـطـافُ

أيَّ الــذرى برحاب صفوك يا صفا
نــذر الـخـلـودُ وقـــدَّس الأســلافُ

شمخت بهام الأرز تحتضن المدى
لـكـأنَّـهـا فــوق الـسـديـم سـجـافُ

رسخت على الزمن السحيق جذورها
فــي رقــعــةٍ عــزَّت بـهـا الأريـــافُ

شــاخ الــزمــانُ على عـصـيٍّ فنائها
وتحطَّمت مـن دونـهـا الأحــلافُ

تاريخُها العهدُ الـمـضـيءُ وإرثـهُ
والـهـيـكـلُ الـقـدسـيُّ والـمـجـذافُ

يـا تـــوأمَ (الـبــاروك) قـل هـي كعبة
فـي الـشـوق يجثى حولها ويطافُ

يـا سـرمـدي الـدفـق هـب لـي نفحةً
للشعر فـالـوحـيُ الـعـصِـيُّ رعـافُ

مـن دوح إلـهـام (الـرشـيـد) أبثها
شـدواً على حـرم المقام يُـضـافُ

واشـهـد بـهـا لـبـنـان كـلُّ تـرابـه
شـوفٌ فبين جـوانـحـي أشـوافُ

ألـشـوفُ مـن لبنان قـلـبٌ مـورقٌ
بـالـزهـوِ والـوطـنُ الكبيرُ شغافُ

بيتنا وأبي

قال لي منزلي:
(لا تهجرني لأن ماضيك يسكنني)

كمال الصليبي

(امسحُ جبينَ الأيام الكالحة من تعب الانتظار، وأعود إلى الريف المنسي، أغفو على وسادة صباحٍ ينبلج لتمر بي الذكريات متشحةً بالفرح، متوهجةً كنور الشمس تغزل ما اختزنته عبر أيام الغربة وترصِّع بيتنا المنسي في الضيعة بقلادة من الشعر).

بـيـتُـنـا الـمـنـسـيُّ فـي ضيعتنا
شـامـخـاً مـا زال تـيـهـاً وإبـاءْ

جـاورَ الآفـاق عـبـر الـلامـدى
واكتسى في عريه السحب رداءْ

لامـسَ الـجـوزاءَ عـن هـامـتـهِ
يـتـهـادى الـبـدرُ تـيـهـاً وحـيـاءْ

لفحت جدرانه شمسُ الضحى
بعثرت قرميدَه الريحُ هباءْ
غادَر الدوريُّ تعريشاته
وكسا العوسجُ أدراج الفناءْ
حضنته دوحةٌ مهجورةٌ
رسخت في الريف حباً وولاءْ
أفردت أفنانها من صبوة
لتقيه البرد إن جاء الشتاءْ
فلوى صابٍ على وحشته
لزمان الخير والعيش الرخاءْ
وأبي الحاني على عكازه
أثقلته غربةُ العمر فناءْ
يسبقُ الفجر إلى كرمتهِ
ما ونى يوماً ولم يشكُ عناءْ

مـفـعـم الإيــمــانِ فــي طلعته
هــمَّــةُ الــشـبـانِ عـــزمٌ ومــضـاءْ

(فــلَّــع) الــمــحـراثُ كـفَّـيـه ومـا
زادَه الإصـــــرارُ إلّا كـبـريـاءْ

عـشـقُـه لــلأرض مـحـفـورٌ على
جبـهـةٍ مـا عـرفـت لـــون الـريـاءْ

هـــو عـــهــدٌ لــلـوفـا بـيـنـهـمـا
فـجَّـر الـقـيـعـان جـنـيـاً وعـطـاءْ

هـــا هـــو يـــجــري عــلــى عــادتــه
راجــعـاً مـن يـومـه تحت المساءْ

يــصــحــبُ الــلــيــلَ إلــى عــرزالــه
كلّما استوحـش لـلـعـرزالِ جـاءْ

يــبـعـثُ الــمــوال حــزنـاً وأسًــى
وبـعـيـنـيـه ابـتـهـالٌ ورجـــاءْ

لـهـفـةُ الـــمـــوجـــوعِ فـــي بحته
(إن هــذا الـريـف أولـــى بالبقاءْ)

عـــاش اســـلافـــي هـنـا مـــاتـــوا هنا
هـــو لـــو غـــادرتُـــه مـنِّـي بـــــراءْ؟...

المخدع المهجور

أبــنــيَّ تــذكــرُ يــوم كــنــت صغيرا

آن افــتــرشــتُ لــك الــضــلــوعَ سريرا

تحبو فيغمرني الــحــنــانُ مفجراً

يــنــبــوعَ عاطفتي شـــذىً وعبيرا

تخطو على النبضِ الرهيفِ مرنحاً

تمشي إخــالــكَ واهــمــاً مــذعــورا

فأطيرُ تستبقُ النسيمَ جوانحي

أرعــى مــســيــركَ أو أقــيــكَ عثورا

وكــم اختصرتُ لك الزمان حكايةً

تــصــغــي لــهــا متــلــهــفــاً مــســرورا

تلتفُّ فــي حضني كــأن طلاسمي

شغفت فضولَ خيالك المسحورا

وتـــرقُ تـشـرق مـقـلـتـاك تـأمـلاً
ويـفـيـضُ وجـهُـك بهجةً وحـبـورا

حتى إذا مـا مـسَّ جفنيكَ الكرى
وغـفـوتَ مغتبط الـفـؤاد قـريـرا

نتَّفت مـن ريـشِ الضلوع مفارشاً
ونـشـرتُـهـا فـوق الـسـريـرِ نـذورا

أبـنـيّ؟ قـد شـاء الـزمـانُ فراقنا
وغـدوتُ رهـن الغربتين أسيرا

يدمي شريطُ الذكريات جوارحي
وبـخـافـقـي شـبَّ الـفـراقُ سعيرا

ذهـبـت مـعـانـاةُ السنينَ ببهجتي
ومـلـلـتُ أسـبـابَ الـحـيـاةِ قشورا

كيف التفتُّ، وأيـن جلتُ نواظري
ألـقـاكَ أشـتـاقُ الـعـنـاقَ كثيرا

يــا آســـراً لــبِّــي وســاكــن مهجتي

يــا مــالــئــاً قلبي الــشــجــيَّ حضورا

مــن لـــي؟ إذا عــدتُ العشية مثقلاً

بــمــتــاعــبــي مــســتــوحــشــاً مــقــهــورا

متعثراً أســـيـــانَ مــغــلــولَ الخطى

أطـــوي على نِــتــفِ الــفــؤاد مسيرا

يــعــدو يعانقني يشاطرني الونى

ويــبــثــنــي الأمــــلَ الــكــبــيــرَ وفــيــرا

يــا تــاركــاً ليلي الطويل هواجساً

أوَهــل نسيت المخدعَ المهجورا

حسبي وإن طـــال الــفــراقُ بأنني

يــومــاً أعـــودُ، وألتقيكَ أخــيــرا!...

إلى ولدي (شادي)

(على أثر عارضٍ ألمَّ بي)

أشـــادي مـا ونـيـتُ وقـد تـوالـت

صــروفُ الـدهـر هـوجـاً فـي رياحي

ولا استسلمتُ لـلـعـثـراتِ يوماً

ومـا ألـقـيـتُ مـن جـزعٍ سلاحي

ولـو دارت بـي الأيـام حتى

وهـت تسترجعُ الصحرا بواحي

فـلا تـجـزعْ إذا نـبـئـت أنـي

عـلـيـلٌ أعـيـتِ الآسـي جـراحـي

سأبقى في ذرى القنن العوالي

بـلـون الـنـجـم مـخـضـوبـاً جناحي

إلى حفيدي (آدم) يوم سفره إلى دبي

وكان قد تشبّث بي، وأبى أن تأخذه أمه مني

نــمْ فــوقَ صــدريَ آمـنـاً نــومَ الــبــريءِ المطمئنِّ
واصـــغِ لـعـزف هـــواك في نـبـضـي عـلـى وتـــرٍ مـــرنٍّ
واغـــفُ تـحـفُّ بـمـهـدك الأ حــلامُ واســتــرخ بحضني
حـقـاً؟ سـتـرحـلُ فـيـكَ ما خـــرةٌ غــداً وتـغـيـبُ عنِّي

ولـــمـــن ســنــتــركُ لهفتي الـحـرَّى على حُـرقِ التمنِّي
وجــفــافَ أيَّــامــي وشـيـبـةَ لـمَّـتـي ونـــضـــوبَ دنِّـــي
دعــنــي أضـــمُّـــكَ لا تـفـار قـنـي وخـــذ مـــا شـئـتَ منِّي
يـــا (آدم) أنـــت الـمـلاك الـحـلـو فـــي وعـيـي وظـنِّـي
حسبي وقـــد حـــان الـــوداعُ الـمـرُّ ألّا تـمـتـحـنِّـي!....

٢٠٠٩/٩/٦

في نادي المشرف

بمناسبة زفاف (ربيع) نجل شقيقتي هيام على الآنسة (داليا) الغصيني

٢٢ أيلول ٢٠٠٧

أربيعُ ألمحُ فوقَ ثغركَ بسمةً
بالطيبِ من عبقِ الربيعِ تفوحُ

وعلى وجوهِ المحتفينَ، مساحة
للودِّ عن مقلِ الحسانِ تلوحُ

(ويكُ) عماطور جلبّبها الغوى
باليمنِ جاءت يا ربيعُ تصيحُ

وذووكَ في اليومِ الأثيرِ تجمهروا
يحدوهمُ التهليلُ والتسبيحُ

وأنـــا عـلـى هـــذي الـسـفـوح كـوامـنـي
شـغـفـاً بـمـا حـمـل الـفـؤادُ تـبـوحُ

أخـتـالُ فـي حـفـل الـزفـافِ تـيـمُّـنـاً
والـقـلـبُ مـنـي مـفـعـمٌ والـروحُ

فـاهـنـأ (ربـيـعُ) (بـدالـيـا) يغمركما
كـنـفٌ مـشـوبٌ بـالـرفـاهِ فـسـيـحُ

دولار

إشتر (الدولارَ) بخساً قبلَ أن يغلو فتندمْ
ودعِ الليرةَ باتت عملةً ألفاً بدرهمْ
إنَّه الترياقُ يشفي دونما آسٍ ومرهمْ
سَل ربيبَ الكارِ أدرى أنتَ لا تدري وتعلمْ
فهو سمسارٌ عريقٌ ينهجُ النهجَ المقوَّمْ
يغرقُ الناسَ وعوداً يبذلُ الفلسَ ويغنمْ

وهو في التمويهِ فذٌّ قادرٌ أن يتحكَّمْ
كان بالأمسِ فقيراً معدماً والله أعلمْ
كيف باتَ اللصُّ براً والكريمُ الحرُّ معدمْ
فاخزنِ الدولارَ واعلم إنَّه الأمرُ المحتّمْ
أمةٌ تحمي لصوصاً قل بها اللهُ يرحمْ

عين على آذار

بمناسبة عيد الأم

قِـــف عـــلـــى آذار كــــبـــراً وتـــبـــاهَ
بـــربـــيـــعِ الأم واســـتـــجـــلِ خـــطـــاهـــا

واغْــــتـــــرف مـــــن هـــــالـــــةِ الأمِّ الـــســـنـــا
وارتــــشِـــــفْ عـــن وردِ خـــديـــهـــا شـــذاهـــا

كـــم عـــلـــى أهـــدابِـــنـــا مـــن نـــسـجِــهـــا
صـــــورٌ يـــــزهـــــو بـــــــآذارِ ســـنـــاهـــا

وعـــلـــى إيـــقـــاعِ بـــثِّ الـــــروح مـن
حـــبِّـــهـــا الـــقـــدسـيِّ فـــيـــضٌ مـــن نـــداهـــا

مـــا لـــنـــا والـــعـــيـــدُ فـــي تـــكـــريـــمـــهـــا
وقـــفـــةٌ أســـمـــى ولا نـــبـــلٌ يُـــضـــاهـــى

كـــلُّ يـــومٍ عـيـدُهـا عـــزفٌ عـلـى
هـيـنـمـاتِ الـقـلـب دفــقٌ مــن هـواهـا

عـيـدُهـا إشـــراقُ هـــديٍ وهـــدىً
وتـــجـــلٍ وابـــتـــهـــالاتٌ رؤاهـــا

مـــا لـنـا والـشـعـرُ فـي تـوصـيـفـهـا
أيُّ شـعـرٍ لـــن يـوفّـيـهـا وفـاهـا

يـسـتـعـيـرُ الـلـيـلُ عـن أهـدابـهـا
سـهـراً والـخـلـقُ نـيّـامٌ عـداهـا

تـــزرعُ الآمـــالَ فـــي بـسـمـتِـنـا
كـيـفـمـا رانَـــت عـلـيـنـا مـقـلـتـاهـا

لا نـــدىً فـي الـخَـلـقِ إلَّا مــن نـداهـا
مـا عـلـى الأرضِ عُـــلاً يـعـلـو عُـلاهـا

قـــد يـــزولُ الـعـالـم الـسـفـلـي لـو
آدمـــيٌّ لامـــسَ الـمـهـدَ سـواهـا

فـاحـبـسـوا الأنــفــاسَ فـي مِـحـرابـهـا
واخـفـضـوا فـي حـضـرةِ الأم الـجـبَـاهـا

أنـــا لـــو مـــن خِـشـيـتـي ربِّـــي ومـــن
لـعـنـةِ الـتـكـفـيـرِ أدعـــوهـــا إلـــهـــا؟...

موندیال ۱۹۹۸

لِـمَ اعـتـكـافُـك لا هـمٌّ ولا فـزعُ
فـالـرأيُ مؤتلفٌ والشملُ مجتمعُ

ولا مـحـاجـرُنـا الـجـوفـاءُ دامـعـةٌ
ولا الـمـرارات فـي أفـواهـنـا جُـرعُ

ولا ثـوابـتُ عصر الـعـار شـاهـدةٌ
على الـهـوانِ ولا زيـفٌ ولا خـدعُ

ولا نـوافـذُ هـذا الـشـرق مشرعةٌ
أمـام عـولـمـةٍ هـوجـاء تبتلعُ

ولا مـصـيـرُك يـا لـبـنـان مرتهنٌ
لـرأسـمـالٍ طـويـلِ الـبـاع يشترعُ

قم شـاركِ الموكبَ الـجـرارَ محفله
في (الموندیال) كما الطوفان يندفعُ

فـي كـل منعطفٍ حـشـدٌ لصولتهِ
وقـعٌ عليه جبينُ الأرضِ ينصدعُ

ومـن قصيٍّ أقـاصـي الـكـون لافتةٌ
لـكـل كـوكـبـةٍ غـــرَّاء تـرتـفـعُ

إن هزَّ (مرمى) شباك الخصم محترفٌ
دويٌّ زلـزلـةٍ مـن حـولـنـا يقعُ

كأنما شـرقُـنـا الـمـعـصـومُ جانبُه
مـرمـاهُ عن زحمةِ الأهــداف يمتنعُ

فـيـمَ اعـتـكـافُـك والأجـيـالُ آمنةٌ
في ظـلِّ محتكمٍ دانـت له (البيعُ)

ونـخـبـةٍ منتقاةٍ لـم تُـصـب شبعاً
مـا بين أنـيـابِـهـا مـن لحمنا قطعُ

على رمـاد رُكـامِ الأمـسِ قائمةٌ
أبـراجُ عزتها، والـوصـلُ منقطعُ

خيبات (ثالوثهم) ضاقَ الشفيعُ بها
راحــوا فـرادى لبر الشام أو رجعوا
ليست بليتُنا البـلـواء فرقتهم
لكن طامتنا الكبرى متى اجتمعوا
وبعدُ لبنان؟ ما استعصت مواجعُنا
وشـــرخُ لحمتنا مـا زال يتَّسعُ
يفترَّ ثغرُ مـداكَ السمح عـن أمـلٍ
يُرجى وتحت جناح الأرز نجتمعُ
متى تضاربت الأهــواءُ واختلفَت
بنا الـمـشـاربُ والأعـــرافُ والـبـدعُ
متى انكفأنا نـــواري مـا يُـسراد بنا
على سـراب الغد الموعود نصطرعُ
وعــهـدُ عـزَّتِـنـا الـمـزعـومُ مرتجلٌ
ونـهـجُ رفعتنا الـمـرسـومُ مصطنعُ

ونحنُ حـولَ المصيرِ المر شرذمةٌ
سِماتُنا الـجـوعُ والبأساء والهلعُ

لا يشرق الحلمُ يا لبنان عن حلكٍ
ولا الحقوقُ بغير السيف تنتزعُ

فاغفر لأعرابك الأقحاح ما ارتهنوا؟
هـمُ الأبـاة لغير الـلـه مـا ركعوا

ودع جنوبَك ينزو فـي ضمائرهم
جرحاً وجـلادُك المسعورُ يقتطعُ

ولا عليك إذا مـا حـاولـوا عبثاً
أن يستقيمَ سـلامٌ وجـهُـه بشعُ

وارفـع صلاتك فـي (قـانـا) مدويةً
نجوى خلاصٍ متى يستفحل الوجعُ

عيد الجد والجدة

(الشويفات مستوصف الشيخ داوود نعيم)

من حضن رابيةٍ في الشوف مترعةٍ
بالحبِّ تـأوي إلـى ظـل الأماليدِ

أكـمـامـهـا الـزهـرُ أزرارٌ معطرةٌ
كالعقدِ فـوق صـدور الغيدِ منضودِ

من فيض كرمة (عماطور) من جبلٍ
يغفو، ويصحو على همس العناقيدِ

شريان خضرته (بالغرب) متصلٌ
إلـى وتـيـنٍ بحبل الـودِّ مـشـدودِ

جئتُ (الشويفات) محمولاً على شغفي
أتـلـو بمسمعها أحـلـى أناشيدي

أبثها الـوجـد عـن قيثارتي نغماً
يـوائـم الـبـرّ فـي مـزمـور (داوودِ)

(أبـو أديـــبٍ)[*] ويـا سعدَ التقاة به
على مسار الهدى شيخُ الأجاويدِ

مـن أســرةٍ طبعَ الإحـســانُ سيرتها
موسومةٍ بسماتِ الجود في الجودِ

(سـمـيـرُهـا) الـبـرُّ تعتزُّ الأنــامُ به
كـم طـوَّقـت بجميلٍ كـفُّـه جيدي

(سميرُ) ألهجُ بالمعروف معذرةً
لقد تصلَّب نسغُ العمرِ في عودي

والـنـاسُ فـي غفلةٍ عمَّا يحاك لنا
والـعـربُ مـا بين تطبيعٍ وتهويدِ

(*) صاحب الدعوة: الشيخ داوود نعيم.

والسيفُ في ساعد التحرير ممتنعٌ
(والفكرُ) ملتحفٌ في قعر أخدودِ

قم يا (أمير بيانٍ)(*) وامتشق قلماً
يستنهضُ العزمَ في الصمِّ الجلاميدِ

وقل لنا شِرعة الإنسان واحدةٌ
وطارد العقمَ في العرب المواليدِ

ألستَ من قام للفصحى، فقومها
ألستَ من هبَّ لما باسمهِ نودي

فالأرضُ ما أجدبت بل أمطرتك ندىً
يعيدُ بهجةَ هذا العيد للعيدِ!....

٢٧ / ٦ / ٢٠٠٣

(*) الأمير شكيب أرسلان.

الدبلوماسي الشجاع

(لفتة تقدير إلى الأخ السفير نصير باز)

نصيرُ الحق، أنت الجدُّ نهجاً
على رتبٍ عليّات تقدمْ

سلاحك قاطعٌ؟ رأيٌ سديدٌ
وفكرٌ واضحُ الرؤيا، ومرقمْ

وحسٌّ مُرهفٌ خلقٌ وخُلقٌ
وعزمٌ، كلَّما أحجمت أقدمْ

أقول الحقَّ، إنَّك من رعيلٍ
تحدَّى الصعب، واجتاز المحرمْ

فكنتَ بخدمةِ الوطن المجلي
وكنتَ الدبلوماسيَّ المقومْ

أراكَ أرى العُجابَ ولا أبالي
بدولتنا العليَّةِ أن يكرَّمْ

أولاءِ المترفونَ على التكايا
وكلُّ منافقٍ منهم مخضرمْ

فمن نكدِ الزمانِ على بنيه
تسلُّطُ زمرةٍ تُشرى بدرهمْ

أراكَ على الذُرى تفتَّرُ بشراً
وهم مِسخٌ أراهم في جهنَّمْ

وأنتَ لأنتَ ممن صنَّفوهم
إلى التكريمِ والتفخيم أكرمْ

كفاكَ من احتضان الأهل فخراً
لقد خصّوكَ بالتكريم فانعمْ

وحدَّث عنهمُ كبراً وباهي
بإقدامِ (الوليد)(*) ونبلِ (بلسمْ)(**)

(*) وليد ـ نجل شقيقته.

(**) بلسم ـ نجل شقيقته.

إلى المحامي الأستاذ حليم نصر

رداً على إهدائي مؤلفاته المترجمة

يا أخي؟... يا حليم
من على جفنات هذا الليل المطبَق؟...
من لجة ليل طويل طويل سوف لن يشيب على ما يبدو؟
من غربة وطن ذبيح مسحوا جبينه بالقهر
من صدى صراخ القنوط، واليأس والهلع
المكتوم في الحناجر...
من فسحة أمل ضائع يعدُنا بها منتفخو البطون، راكبو السيارات
الفارهة على الشاشات الفضيّة.
من جلجلة، عمّدتنا بالدم؟...
التفت إليك مكبراً سعيك الدؤوب،
والسهر على نقلك للتراث، وانشغالك بالشعر والأدب.
أمدّ إليك يدي مصافحاً، ربما سوف نلتقي يوماً ما على جناح
أبيض ينقلنا إلى ضفة أخرى في عالم آخر يشعرُنا بالأمان...

وإلى أن نلتقي، آمل أن تتقبّل منّي هذه الباقة الشعرية عربون محبةٍ، وعرفانٍ بجميلٍ.

طـوَّقـتَ جـيـدي يـا حـلـيـمُ بمطلعٍ
مـن فـيـضِ نـبـلِـك بـالـجـمـان تـرصَّـعـا

سـطَّـرتـهُ هـامَ الـكـتـابِ مـتـوِّجـاً
إهــداءَهُ بـشـاً رهـيـفـاً مـتـرعـا

بـيـتـانِ وشَّـيـتَ الـمـشـاعـرَ فيهما
(دراً) على (غـررِ) الـحـروفِ مشعشعا

فـوجـدتـنـي بـيـن الـسـطـورِ مـنـقِّـبـاً
أسـتـظـهـرُ الـبـوحَ الـجـلـيَّ الممتعا

وعـرائـسٌ لـلـشـعـرِ أنَّـقـهـا الـغـوى
حـولـي (وعـبـقـرَ) يـسـتـغـيـثُ متعتعا

فـي (مـنـهـلـيـك) أيـا حـلـيـمُ رصـانـةٌ
تـسـمـو بـنـهـجـكَ بـاحـثـاً ومـشـرِّعـا

كـنـتَ الـمـجـلِّـي فـي الـنـصـوصِ تبثُّها
عــزفــاً، وكــنــتَ الـمـسـتـنـيـرَ الـمُـبـدعـا

يــا والــجــاً حــقــلَ الــتــراجــم دعْ له
بــابــاً أمــــامَ الــمــبــدعــيــنَ مــشــرَّعــا

واخــلَــعْ عــلــى نــقــلِ الــتــراثِ عــبــاءةً
لــن يــرتــديــهــا مــن تــجــرَّأ وادَّعـــى

بــوركــتَ ـ أثــريــت الــقــريــضَ جــزالــةً
وبــلاغــةً بــالــنــثــرِ فــي آنٍ مــعــا

إلى الأخ
(الدكتور سمير نعيم)

مـا كــلُّ مـن مـهـنَ الطبابة وادعــى
علـمـاً ببلسمة الــجــراحِ بــآسِ
أو كـلُّ من وصـف الـعـلاجَ لموجعٍ
أو جــسَّ نـبـضـاً للعليل نطاسي
إلَّا السَّمير، إذا استشرت لمرةٍ
لـوجـدت خـيـرَ مـعـالـجٍ ومـؤاســي
فــإذا ابتليت بـعـلـةٍ، واستفحلت
في الجسم أو في القلب أو في الراسِ
أدرك عـيـادتـه عـلـى عـجـل تجدْ
نـعـمَ الطبيب، وخـيــرةُ الـجـلاسِ

وقفة خشوع لنعي المرحوم (والدي)

حيث شاءت ظروف قاهرة بأن لا أحضر مأتمه

٩ شباط ١٩٩١

يـا أبــي فـي خـطـرةِ الـشـوقِ إليكْ
أدمــعــي تستمطرُ الــبــردَ عليكْ

شــــاءتِ الأقـــدارُ أن تمضي وما
زودتـــنـــي لـفـتـةً مـــن نـاظـريـكْ

صــرتُ بعد اليوم وحــدي والأســى
راعـفـاً جـرحـي، ولا نجوى لديكْ

مــوجــعــاً قـلـبـي لـمـن خـلَّـفـتـه؟
خـــذه عــربــون وفـــا فــي راحـتـيـكْ

ليتني فــي هجعة الــمــوت التي
حطمت روحـــي وشــلَّــت مقلتيكْ

جئتُ فـوق النعشِ أبكيك جوى
ضـــارعـــاً مـسـتـنـفـراً بـيـن يـديـكْ

فـــي وداعٍ لا لـــقـــاء بـعـده
قبل مـا هـالـوا ثــرى اللحد عليكْ

لفتة وفاء لذكرى المربي المرحوم (الأستاذ بهجت أبو شقرا)
وكنت قد عدتُه قبل يومين من وفاته
فرشقني بدمعةٍ هزت مشاعري

عصاني الدمعُ واحتبسَ النداءُ
رفيقَ العمرِ أوجعني اللقاءُ

لويتُ على سريرِك خابَ ظنّي
فلا ثغرٌ يبشُّ ولا رجاءُ

ولا الآسي على الجسد المسجّى
أصابَ الداءَ أو شفعَ الدواءُ

هي الدنيا تدورُ وما عليها
سرابٌ في كوامنهِ الفناءُ

وأعمارُ العبادِ على ثراها
مواقيتٌ يسيِّرها القضاءُ

عـهـدتـكَ يـا رفـيـقَ الـعـمـرِ صلباً
عـلـى الآلامِ ديـــدنـــكَ الـعـطـاءُ

عـــن الإقـــــــدامِ مـــا أثـــنـــاكَ داءٌ
وعـــن سـعـي لِـمـكـرُمـة عـيـاءُ

وفـيـــتَ طـلائـعَ الأجـيـــالِ حقاً
غـــداةَ لـدوحـكَ الـريّـــانِ فـــاؤوا

على (فـــادي)(*) الكليم نشرتَ ظلّاً
وريـفـــاً حينما احـتـدم الـبـلاءُ

(وفـادي) صنو (بلسم)(**) دونَ منٍ
هـمـا فـي حضنك الـدافـي سـواءُ

حملتَ على صليبِك أي روحٍ
شكيمتُها الـعـزيـمـةُ والـمـضـاءُ

(*) فادي: ولده بالتبني

(**) بلسم: ولده

تــواكــبُ ثــورة الإشـــــراقِ لـمَّـا
لـنـهـجِ الـشـرقِ عــزَّ الانـتـمـاءُ

أخـا الأبـــرارِ لا تـخـشَ الـرزايـا
بـــذاكَ الـمـدِّ مـا خـفـتَ الـضـيـاءُ

ومـا انـدفـعَـت لرفعتها شـعـوبٌ
على خــزيٍ ومـا انقشعتْ سماءُ

أبـا الأيـتـامِ عــفـوَكَ لـم أشـأه
رثـــاءً هــل يـوفِّـيـك الــرثـاءُ

رحـلـتَ وذكــرُكَ الـمـعـطـاء بـاقٍ
لنا فـي (بـهـجـةِ) الـذكـرى عــزاءُ

فـأقـمـصـة هــي الأجـســاد تفنى
وشـيـمـةُ جـوهـرِ الـــروحِ الـبـقـاءُ

وطــوبـــاكَ الـنـعـيـمُ تـقــرُّ فيه
عــزيـزاً إنَّـمـا الـمـوتُ ارتـقـاءُ

صـــلاة الـخـاشـعـيـن عـلـيـكَ منَّا
ومــن رضـــوان خـالـقـك الـــرواءُ

رثاء الشاعر المرحوم
(الأستاذ فوزي نعمان أبو شقرا)

٢ شباط ٢٠٠٤

(نحن نبكي يوم نولد، وغيرنا يبكي يوم نموت...
أما الشاعر ولا مبالاة عنده، إنما يسير إلى الموت ولا حاجة به
إلى شيء)

حُـكـمُ المشيئةِ مـا نحبنا مبرمٌ
والـمـوتُ حـقٌّ مـوجـبٌ محتومُ

فمن الخليقةِ لـلـزوالِ عبورُنا
سـرٌّ عـلـى قـسـماتِـنـا مـرسـومُ

لو كان يجدي الدمعُ في ردّ القضا
ويـهـادنُ الأقـدارَ حـيـن تـرومُ

لتقرَّحت بـدلَ الـجـفـونِ قلوبُنا
وجـرى نجيعاً دمـعُـنـا المكتومُ

لـكــنَّ حـكـمـةَ ربـنــا فــي خلقِهِ
قـــدرُ الــعــبــادِ مــغـــادرٌ ومـقـيــمُ

نعتِ الــمــروءةُ يــومَ فــوزي أهلَها
وطــوى الــمــكــارمَ نعيُه المشؤومُ

نسرٌ هــوى طفتِ الفجيعة وانطوى
عــلــمٌ متــى عــزَّ الـــكـــرامُ كـريــمُ

مــتــفــردٌ بــالــمــعــجـزاتِ مــفــوَّهٌ
بـــرٌّ كــمــا الــســيــفُ الــقــويــمُ قـويـمُ

لمَّا على خطواتِه انحسرَ الثرى
وعلى مـــداهُ الــرحــبِ ضـــاقَ أديـــمُ

تـــركَ الــفــنــاءَ إلــى الــبــقــاءِ مــودعــاً
حيث الـعـدالـةُ فـي الــســمــاءِ تقومُ

فــوزي قد انفطرت لفرقتكَ الـذرى
وارتـــجَّ يعتمرُ الـــحـــدادَ سـديــمُ

وتوشَّحت حللُ المنابرِ وانقضى
عــهــدُ الــبـلاغــةِ فــالــيــراعُ يتيمُ
ربَّــــاه لـطـفَـك؟ بـالـعـبـادِ تـرفُّـقـاً
يــا ربُّ رزءُ الــنــائــبــاتِ جسيمُ
ربَّــــاهُ عــفــوكَ لا اعــتــراضَ فكلُّنا
فــي وأدِ مــدرجــة الــبــيــانِ كليمُ
نتقبَّل الخطبَ الجليلَ وحسبُنا
فــي الــنــائــبــاتِ الــصــبــرُ والتسليمُ
أرثـيـكَ؟ لا جـلَّ المقامُ عـن الرثا
فــي حــضــرةِ الــمــوتِ الــكــلامُ عقيمُ
أرثـيـكَ؟ كيف وأنــتَ بين ضلوعِنا
حــيٌّ بــحــبَّــات الــقــلــوبِ تقيمُ
في الخلد أنـت لك المدى ونعيمه
يـرعـاك فـي الكنفِ الأمـيـن رحيمُ
طــوبــاك خــلَّــفــت الــمــآثــر بيننا
إرثـــاً عــلــى مـــرِّ الـعـصـورِ يـدومُ

ساكن القلب

صبوتُ للرسم قدَّامي أسامره
مغرورق الطرف ملهوفاً أناجيهِ
في مقلتيَّ نزيفُ الشجو أحبسه
في خافقيَّ شفيف البوح أخفيهِ
تلفَّت الرسم؟ خلت الأصل يهتف بي
فيمَ اكتئابك؟ ما يشقيك يشقيهِ
مهما كتمت الهوى فالعين تفضحه
لا تحبسِ السرَّ عني إذ تواريهِ
فمثلُ روحكَ روحي السهد يوجعها
ومثلُ قلبك قلبي الشوق يُضنيهِ
خلِّ الهواجس قد يُشقيك عاصفُها
واترك إلينا حثيثاً شاسع التيهِ
ما في حناياك لا يخفى على ولهي
(فساكن القلب أدرى بالذي فيهِ)

عاشق

قسماً بحبِّكِ ما جلوتُ خواطري
إلَّا وأنــت تـمـرحـيـنَ بخاطري

طـيـفـاً يـلـفِّـعـهُ الـغـمـامُ مـهـومـاً
متنكِّباً مـتـنَ الـخـيـالِ الـخـاطـرِ

حلماً ضـبـابـيّ الــرؤى مستأثراً
بـأعـنَّـتـي مـتـخـايـلاً بـنـواظـري

أشـكـوهُ شجوَ المستهامِ الصابرِ
وأبـثُّـه الـنـجـوى بـلـهـفـةِ شـاعـرِ

لـكـنَّـه سـرعــانَ مـا يمضي على
عـجـلٍ كما نـزق الـشـهـابِ العابرِ

ويـطـولُ بـي ليلُ الشتاتِ مفجّراً
عبراتِ خاطرتي وعصفَ مشاعري

لا أستـطيـعُ إلـى الـلـقـاء وسيلةً
وعلى نزيف الـوجـدِ لستُ بقادرِ

أنـا عـاشـقٌ مـا زال ينبضُ بالهوى
قلبي وتـنـضـحُ بـالـوفـاءِ سـرائـري

لـكـنَّـنـي عـفـتُ الـحـيـاةَ مـشـرَّداً
شبحاً يهيمُ على رسـومِ مقابرِ

أحبك

أحـبُّـك حـبـاً كـبـيـراً كبيراً يفوقُ امـتـدادَ رحـاب المدى
وشوقي إليكِ كشوق الأقـاح لرشح الغمامِ وقـطـرِ الندى

أحـبُّـك لـهـفـةَ قـلـبٍ شجيٍ ونـــأمـــةَ شـــادٍ نـــأيٍ شـدا
وبيني وبينك عصفُ عهودٍ وهمسُ وعـودٍ ورجـعُ صدى

أحبُّك أخشَى الربيعَ الرطيبَ يـمـرُّ، ويمضي شبابي سدى
إليك؟.. نذرت الليالي الطوال لعلي؟... لعلي؟... أعود غدا

رويدَكِ

(من شعر الصبا)

تـعـبــتُ؟... تـقـولُ ـ عابثةً وترنو
إلـــيَّ بـطـرفـهـا الأســـيـــان جــاره

أراكَ جـفـوتَ، مـا أقـصـاكَ عني؟
عــلامــكَ بـــتَّ تـبـخـلُ بـالـزيـاره

وقــد كـنـت الـحـفـيَّ تـحـل أهــلاً
تـؤانـس وحشتي ولــك الـصـداره

تــؤجِّــج فــي شـرايـيـنـي ضـرامــاً
وفــي قلبي ـ على النجوى أواره

وتـرفـعُ لـي مــن الأحـــلام عـرشـاً
وتـبـنـي لــي مــن الآمـــالِ داره!

أفــاضــتْ والــدمــوعُ بمقلتيها

تحاكي طهرَ مريـمَ فـي المغاره:

ـ أنــا يــا صاحبي إلّاك عمري

بــلا طـعـمٍ وأيّــامــي مــراره!

رويــدكِ؟ قلت ـ مهلاً لا تحابي

بكيتِ الحسنَ أم صنتِ الطهاره

منحتْ الـوصـل مسفوحاً بفلس

ومـارسـتِ الـهـوى بخساً (ببـاره)

فـكـم مـن مـدنـف تـدنـيه طـوراً

وكـم مـن عـاشـق تـقـصـيه تـاره

أتــى والــوجــد فـي عينيه يرجو

بمخدعك الـحـفـاوة والـحـراره

هـلـمـي لاسـتـضـافـتـه وجـودي

بـوصـلـكِ واشـحـنـي فـيـه الإثـاره

كفى عبثاً دعـي الـعـبـرات عنك

تـعـالـي واخـلـعـي ثـوب الإعـــاره

فلست بـشـــاربٍ فـضـلات كـأسٍ

عليها حـطَّـم الـسـاقـي جِـــراره

أأخـــت الحسن لا يغريك كسب

على شـــرفٍ فتُشقيك الخساره

فـمـا رغـــدت عـلـى عـهـرٍ حـيـاة

ولا راجـــت عـلـى بـغـيٍ تـجـاره

الهاوية

وفــاتــنــة تـعـيـش عـلـى هـواهـا
تـبـيـحُ الـحـبَّ بالبخس القليلِ

إذا وقـعـت عـلـى صـيـد ثمين
غـلـيـظ الـقـلـب كـالـهـمِّ الثقيلِ

تـبـادلـه الـهـوى، وصـلاً بـمـالِ
وتـعـبـثُ بـالـجـمـال وبالجميلِ

وقـد غفلت عـن الأيـام تجري
وفـتـنـتـهـا تـصـيـر إلـى ذبـولِ

أعـابـثـهـا سـألـتُ: ألا مـتـابٌ؟
وزهـوُ الـعـمـر يـنـذر بـالأفـولِ

فـردَّت؟ دعـك عـنـي لا تلمني
أنـا ضـيَّـعـت بـالـفـوضـى سبيلي

نجوى

أهـديـكِ مــاذا؟... ومـا عـنـدي لأهـديـهِ
غـيـر الـسـوانـح مـن بـوحٍ أوشّـيـهِ

نـشـرتـه الـشـجـوَ مـن حـبّـي ومـن وجعي
سـكـبـتـهُ الـوجـدَ مـن وحـيٍ أروّيـهِ

زهـرُ الـخـمـيـلـةِ وسـنـانـاً يـهـامسُـه
وصـادحُ الأيـكِ نـشـوانـاً يـغـنّـيـهِ

لا عـقـدَ عـنـدي إلـيـك الـيـومَ أبعثه
ولا سـوارٌ إلـى زنـديـك أهـديـهِ

أو حـبـلَ لـولـو إلـى جـيـدٍ يـرصّـعـه
أو قـرطَ مـاسٍ إلـى صـدرٍ يـحـلّـيـهِ

مـا غيرَ شعري والـقـلـبُ الـذي اختلجت
كـوامـنُ الـوجـدِ والأشـجـانِ تـدمـيـهِ

عينيك لفتتها يشتاقُ خافقُه
آسٍ يسائلني هل لان آسيهِ

عهدي بساكنةِ الوجدانِ مرهفة
فكيفَ تشقي فؤاداً أزهرت فيهِ

إليك تحملهُ النجوى مجنحةً
ينوءُ بالشوقِ في عينيك، واريهِ

سؤال؟...

لا تسألينيِ مَن أكونُ ولا تلجِّي بالسؤال
جاوزتِ حدَّك بالتجنّيَ دعكِ من قيل وقال
أنا من أكونُ وما يُضيركِ من أنا في أيِّ حال
أوَلست من وشّى لياليكِ ورصّعها... لآل
أنا لهفةٌ في صدركِ العارمِ نجوى وابتهال

أنا همسةٌ من بوحِ نرجسةٍ على أرجٍ مشال
أنا بسمةٌ في ثغرِ عذراءٍ تحدَّيت الزوال
أنا في لهاثِ الشمس إشراقٌ وفي القمرِ اكتمال
وعلى الغمام مراشفٌ ماجَت مع النسمِ اعتلال
أنا من أثيرٍ جئتُ للدُّنيا يجنِّحني الخيال

أنـــا شـــاعـــرٌ يـسـتـعـذبُ الـنـجـوى ويـغـويـهِ الجمال
أولـسـتِ مـن صلبي تفلَّت ومـن ضـلـعـي، يـقـال؟...
أنـا فـي تـجـلِّـي (الـكـاف) إيـحـاءٌ وفـي (الـنـون) الكمال
أخـتـاه حـسـبـي أن أمـوِّج حـلـمَـكِ الـوردي آل
لا تـسـألـيـنـي؟ مـن أكـون يكاد يجرحُني الـسـؤال؟.....

يا حبيبي

لتنفي همسةَ العذَّال عنها
وتأمنَ نظرةَ الشَّكِ المريبِ

دعتني عمها، واستقبلتني
على الترحاب أهلاً يا حبيبي

وقالت: هكذا تصفو الليالي
وتبقى دوننا عين الرقيبِ

ولمّا استأذنتني بعد حينٍ
وجدت بأنها سرقت جيوبي؟

نشرة أخبار

(نيكول) هذي على (التلفاز) لفتتُها
تسبي القلوبَ وتستبقيك مشدوها
تـواكـبُ الـحـدثَ الـمـرئـيَّ ترسله
عبر الأثـيـر مـع الأخــبــار تتلوها
أجـلـتُ طـرفـيَ مـبـهـوراً بفتنتها
أصغي لدفق الكلام العذب من فيها
ما همني نشرة الأخبار، إن همست
(نيكول)، أو غارت الدنيا بمن فيها

دورة الأيام

يـــا حـبـيـبـي زمـــنٌ يـجــري بنا
مـــا تـــخـيَّـرنـــاه، أنـــت أو أنـــا

إنَّـــمـــا الأقـــــــدارُ ســاقـتـنـــا ومـــا
حـيـلـةٌ تُـــرجـــى بـــأيـديـنـــا لنا

هـــكـــذا الـــدنـيـــا وصـــــالٌ ونـــوى
أدبـــــرت عـــنَّــــا وحـــالـــت بيننا

لا تـــلـمـنـي فـــأنـــا فـــي حـــالـــكِ
مـــن شجوني راعـــفٌ جـرحـي هنا

أنَّـــــةٌ مـــكـبـــوتـــةٌ فـــي أضـــلـعـي
تشتكي روحـــي إلـــى روحـــي الونى

يـــا حبيبي لـــم يـــزل فـــي خافقي
مـــوســـمٌ لـــلـحـــبِّ مـــوفـــور الجنى

كـلَّـمـا استـقـطـر شـطـريـه الـهـوى
وصـبـانـي عـاصـف مـن حبنا

هـزَّنـي الـوجـد كـتـيـارٍ سـرى
فـي كـلـيـنـا سـرمـديٍ مسّـنـا

لا تسلْني كـيـف خـلَّانـا الـجوى
نـتـنـاجـى والأمـانـي دونـنـا

كـيـف بـالـنـجـوى نـداري جرحنا
كيف بالشكوى نـواري شجونا

يـا حـبـيـبـي كـلَّـمـا آب الـمـسـا
وتـجـلَّـى الـبـدرُ فـوق المنحنى

وتـهـادت فـي سـكـونٍ غـامـرٍ
نـسـمـةٌ مـالـت لـغـصـنٍ فانحنى

شـدَّنـي الـوجـدُ لـمـغـنـاك الـذي
كـان لـي حـلـمـاً ربـيـعـي السنا

أنـــا لـــو خـيــرتُ بـيــن الـهــجـر أو

وصـــل أهــلـي مــا تــركــت الموطنا

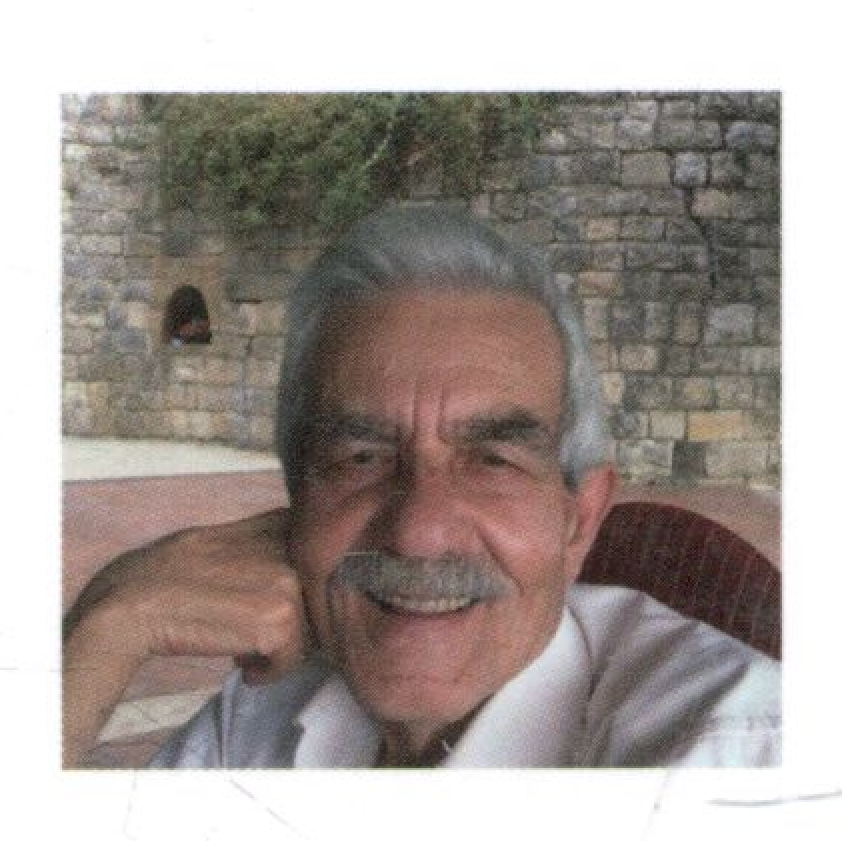
إن لــــلأيــــام فــــي أرحـــامــهـــا

دورةً تـــأتــي بـــأحـــلام الـمـنــى

مكتوب

يا ساكباً في خافقيَّ هواك ما أشتاقُ؟ قل: لي
لك؟ ما أزف عن الهوان بغربتيَّ وما أخلِّي
أنا حبُّكِ المرسوم في قلبي بترحالي وحلِّي
أنا طيفُكِ المحفور في عينيَّ لازمني كظلِّي
مستوحشٌ أسيان مـرصـودٌ إلـى سهرٍ مملِّ
شاخت سواجي الليل في هُدبي بلا فجرٍ مهلِّ
واستكثرت تزهو بي الأحلامُ تجمعني وخلِّي
أشتاقُ لو تدرينَ كم أشتاقُ للطرفِ المدلِّ
لرهافة اللفتاتِ في عينيك للأملِ المطلِّ
للهمسِ للبسمات للقبلات للثغرِ المقلِّ
هـذا أنـا متعشقٌ قيدي وقـد أحكمت غلِّي
أهـدي إليك الحبَّ ألواناً فبالحبِّ استهلِّي
وإذا دعاكِ الوجدُ للنجوى ففي المكتوب كلِّي؟

المحتويات



حبيبتي أنت (عماطور) يا شغفا

ملء الجوارح يجري في دمي لهبا

عطاؤُك الحبُّ عهدٌ واعدٌ أبداً

شاب الفؤادُ وعنه الزهو ما احتجبا

طابت بمنهلك الأيامُ واعتبقت

فكنتِ أماً تراعينا وكنت أبا

تراثك الحيُّ في التاريخ وهجُ سناً

من طيب إرثِ جدودٍ شرَّفوا النسبا

إلّاك كلُّ جِنان الأرض موحشةٌ

وكل حبٍّ عداك خلته كذبا

رامز شكيب أبو شقرا، مواليد عماطور ١٩٣٩.

"أحلام عابرة" هو أول إصدار له.



ISBN 978-614-432-208-6
9 786144 322086